

### الإِسْرَاءُ وَالْمَعْرَاجُ

يقصد بالإسراء الرحلة التي أكرم الله بها نبيه من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بالقدس ، أما المعراج فهو ما أعقب ذلك من العروج به إلى طبقات السماوات العلا ثم الوصول به إلى حد انقطعت عنده علوم الخلائق .

وقد اختلف في ضبط تاريخ هذه المعجزة هل كانت في العام العاشر من بعثته ﷺ ، أم بعد ذلك . . والذي رواه ابن سعد في طبقاته الكبرى أنها كانت قبل الهجرة بشمانية عشر شهراً<sup>(١)</sup> .

وقد ذهب جمهور العلماء إلى أن الإسراء والمعراج وقعا في ليلة واحدة في اليقظة بجسده وروحه ﷺ ودليل ذلك استعظام مشركي قريش لذلك ، وتعجبهم للخبر وسرعة تكذيبهم له ؛ لأن الرؤيا لا حدود لها ولا تستدعي الاستعظام والاستنكار<sup>(٢)</sup> .

### قِصَّةُ الْإِسْرَاءِ وَالْمَعْرَاجِ:

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ<sup>(٣)</sup>: «أُنِيتُ بِالْبُرَاقِ وَهُوَ دَابَّةٌ أبيضُ فَوْقَ الْحِمَارِ وَذُونَ الْبِغْلِ يَضَعُ حَافِرُهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرَفِهِ فَرَكِبْتُهُ فَسَارَ بِي حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ فَرَبَطْتُ الدَّابَّةَ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرِبُّطُ فِيهَا الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ دَخَلْتُ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجْتُ فَبَجَاءَ نِي جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ فَأَخْتَرْتُ اللَّبَنَ قَالَ جِبْرِيلُ: أَصَبْتَ الْفُطْرَةَ ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: وَمَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ فَقِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ فَفَتَحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِأَدَمَ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: وَمَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ فَقِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ فَقِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ: فَفَتَحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِابْنِي الْخَالَةَ يَحْيَى وَعِيسَى فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّلَاثَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ فَقِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ فَقِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ فَفَتَحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَإِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ

(١) فقه السيرة للبوطي ص ١١٥ .

(٢) فقه السيرة للبوطي ص ١٢١ .

(٣) (صحيح) أحمد ١٢٠٩٦ .

فَقِيلَ: قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ الْبَابُ فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ثُمَّ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَرَفَعْنَا مَكَانًا عَلِيًّا ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيْلُ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيْلُ، فَقِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ فَقِيلَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِبَهَارُونَ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيْلُ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيْلُ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ فَقِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيْلُ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيْلُ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ ﷺ وَإِذَا هُوَ مُسْتَنِدٌ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَمُودُونَ إِلَيْهِ ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَإِذَا وَرَقُهَا كَأَذَانِ الْفِيلَةِ وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقَلَالِ فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِيَهَا تَغَيَّرَتْ فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصِفَهَا مِنْ حُسْنِهَا قَالَ: فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيَّ مَا أَوْحَى وَفَرَضَ عَلَيَّ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَمْسِينَ صَلَاةً فَتَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَيَّ أُمَّتِكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ؛ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ وَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَّرْتَهُمْ قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فَقُلْتُ: أَيُّ رَبِّ خَفَّفَ عَنْ أُمَّتِي فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ: مَا فَعَلْتُ؟ قُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا قَالَ: إِنْ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعْ بَيْنَ رَبِّي وَبَيْنَ مُوسَى وَيَحْطُّ عَنِّي خَمْسًا خَمْسًا حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ هِيَ خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ بِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ فَتَلِكُ خَمْسُونَ صَلَاةً وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ حَسَنَةً فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ عَشْرًا وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةٌ فَتَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَقَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى لَقَدْ اسْتَحَيْتُ وَلَكِنْ أَرْضَى وَأَسْلَمَ».

هَلْ رَأَى النَّبِيُّ ﷺ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ؟!

ذكر ابن القيم خلافاً في رؤيته ﷺ ربه تبارك وتعالى؛ ثم ذكر كلاماً لابن تيمية بهذا الصدد، وحاصل البحث أن الرؤية بالعين لم تثبت أصلاً، وهو قول لم يقله أحد من الصحابة، وما نقل عن ابن عباس من رؤيته مطلقاً ورؤيته بالفؤاد فالأول لا ينافي

الثانى<sup>(١)</sup>، وصح عن عائشة وابن مسعود إنكار ذلك، وقالوا: إن قوله تعالى: ﴿مِمْ وَكَقَدَرَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ (١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (١١) ﴿النجم: ١٣ - ١٤﴾ إنما هو جبريل، وصح عن أبي ذر أنه سأله: هل رأيت ربك؟ فقال: «نور أئى أراه» أى: حال بينى وبين رؤيته النور كما قال فى لفظ آخر: «رأيت نوراً»<sup>(٢)</sup> وقد جاء فى بعض الطرق أن صدره ﷺ شقَّ فى هذه المرة أيضاً<sup>(٣)</sup>.

### بَعْضُ مَا رَأَاهُ النَّبِيُّ ﷺ :

عن قَتَادَةَ حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ<sup>(٤)</sup>: «بَيْنَمَا أَنَا أُسِيرُ فِي الْجَنَّةِ إِذَا أَنَا بِنَهْرٍ حَافَتَاهُ قِبابُ الدَّرِّ الْمُجَوَّفِ قُلْتُ مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ هَذَا الْكُوْتُرُ الَّذِي أُعْطَاكَ رَبُّكَ إِذَا طَيْبُهُ أَوْ طَيْبُهُ مِسْكٌ أَذْفَرُ».

ورأى أربعة أنهار يخرج من أصل سدرة المنتهى؛ نهران ظاهران ونهران باطنان فالظاهران: هما النيل والفرات عنصرهما والباطنان: نهران فى الجنة ولعل رؤية النيل والفرات كانت إشارة إلى تمكن الإسلام من هذين القطرين والله أعلم.

عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت رجالاً لهم مشافر كمشافر الإبل»<sup>(٥)</sup> فى أيديهم قطع من نار كالأفهار<sup>(٦)</sup> يقذفونها فى أفواههم فتخرج من أديبارهم فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء أكلة أموال اليتامى ظلماً».

قال: «ثم رأيت رجالاً لهم بطون لم أر مثلها قط بسبيل آل فرعون يمرون عليهم كالإبل المهيومة»<sup>(٧)</sup> حين يعرضون على النار يطنونهم لا يقدر على أن يتحولوا من مكافهم ذلك. قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء أكلة الربا».

قال: «ثم رأيت رجالاً بين أيديهم لحم ثمين طيب إلى جنبه لحم غث متنن»<sup>(٨)</sup> يأكلون من الغث

(١) الرحيق المختوم ص ١٣٦ .

(٢) سيرة الرسول لأبى عمار ص ١٦٩ .

(٣) الرحيق المختوم ص ١٣٦ .

(٤) البخاري ٦٥٨١ .

(٥) شفاء المشافر فى الإبل كالشفاه بالنسبة للإنسان .

(٦) الأفهار: الأحجار .

(٧) العطش .

(٨) المهزول الضعيف .

المتن ويتركون السمين الطيب. قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يتركون ما أحل الله لهم من النساء ويذهبون إلى ما حرم الله عليهم منهن، قال: ثم رأيت نساء معلقات بثديهن فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء اللاتي أدخلن على الرجال من ليس من أولادهم».

ورأى غيراً من أهل مكة في الإياب والذهاب، وقد دهم على بعير نداءهم، وشرب ماءهم من إناء مغطى وهم نائمون، ثم ترك الإناء مغطى، وقد صار ذلك دليلاً على صدق دعواه في صباح ليلة الإسراء<sup>(١)</sup>.

### اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - يُجَلِّي بَيْتَ الْمُقَدَّسِ لِلنَّبِيِّ ﷺ :

فلما أصبح رسول الله ﷺ في قومه أخبرهم بما أراه الله - عز وجل - من آياته الكبرى، فاشتد تكذيبهم له وأذاهم وضراوتهم عليه، وسألوه أن يصف لهم بيت المقدس، فجلاه الله له؛ حتى عاينه، فطفق يخبرهم عن آياته، ولا يستطيعون أن يردوا عليه شيئاً، وأخبرهم عن غيرهم في مسراه ورجوعه، وأخبرهم عن وقت قدومها وأخبرهم عن البعير الذي يقدمها، وكان الأمر كما قال، فلم يزداهم ذلك إلا نفوراً، وأبى الظالمون إلا كفوراً.

### مَوْقِفُ الصِّدِّيقِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي قِصَّةِ الْإِسْرَاءِ وَالْمَعْرَاجِ :

ولما كانت رحلة الإسراء والمعراج جاء المشركون إلى أبي بكر فقالوا له: إن صاحبك يزعم أنه أسرى به إلى المسجد الأقصى في الليلة الماضية، ونحن نقطع أكباد الإبل إليها في شهر كامل فقال أبو بكر: إن كان قال فقد صدق، وفي رواية: وبادر الصديق إلى التصديق وقال: إنى لأصدقته في خبر السماء بكرة وعشيئة، أفلا أصدقته في بيت المقدس؟! ولذلك يقال: إن أبا بكر سُمِّيَ صِدِّيقًا من حادثة الإسراء والمعراج؛ لأن النبي ﷺ قال ليلة أسرى به لجبريل: «إن قومي لا يصدقوني» فقال له جبريل: يصدقك أبو بكر وهو الصديق<sup>(٢)</sup>.

وفى صبيحة ليلة الإسراء جاء جبريل وعلم رسول الله ﷺ كيفية الصلاة وأوقاتها، وكان ﷺ قبل مشروعية الصلاة يصلى ركعتين صباحاً، ومثليهما مساءً كما كان يفعل

(١) ابن هشام ١ - ٢٥١، الرحيق المختوم ص ١٣٧، سيرة الرسول أبو عمار ص ١٧٠.

(٢) سيرة الرسول أبو عمار ١٦٩ - ١٧١.

إبراهيم عليه السلام<sup>(١)</sup> .

### الْعِبْرُ وَالْعِظَاتُ:

تنطوى حادثة الإسراء والمعراج على العديد من العبر والعظات منها:

- ١- معجزة الإسراء والمعراج تؤكد نبوته ﷺ لأن المعجزات الخارقة لا تسنى إلا للأنبياء .
- جاءت ضيافة الإسراء والمعراج للرسول ﷺ بعد المحن الكثيرة التي لاقاها من قريش وفي رحلة الطائف تكريم من الله عز وجل له وتجديد لعزيمته .
- إسراؤه ﷺ إلى بيت المقدس بيان لمدى ما لهذا البيت من مكانة وقدسية عند الله عز وجل وكذلك ضرورة حفاظ المسلمين على هذه الأرض المقدسة في كل عصر .
- وفي اختيار النبي ﷺ اللبن على الخمر حينما قدمهما له جبريل عليه السلام دلالة رمزية على أن الإسلام هو دين الفطرة<sup>(٢)</sup> .

### بَيْعَةُ الْعَقَبَةِ الْأُولَى:

قد ذكرنا أن ستة نفر من أهل يثرب أسلموا في موسم الحج سنة ١١ من النبوة ، ووعدوا رسول الله ﷺ بإبلاغ رسالته في قومهم .

وكان من جراء ذلك أن جاء في الموسم التالي موسم الحج سنة ١٢ من النبوة يوليو سنة ٦٢١م - اثنا عشر رجلاً فيهم خمسة من الستة الذين كانوا قد التقوا برسول الله ﷺ في العام السابق - والسادس الذي لم يحضر هو جابر بن عبد الله بن رثاب - وسبعة سواهم ، وهم:

معاذ بن الحارث بن عفراء من بنى النجار (من الخزرج)

ذكوان بن عبد القيس من بنى زريق (،،،،)

عبادة بن الصامت من بنى غنم (،،،،)

يزيد بن ثعلبة من حلفاء بنى غنم (،،،،)

العباس بن عبادة بن نضلة من بنى سالم (،،،،)

(١) فقه السيرة للبطوي ص ١١٦ .

(٢) فقه السيرة للبطوي مختصراً ١١٦ - ١٢٢ .

أبو الهيثم بن التيهان من بنى عبد الأشهل (من الأوس)  
عويمر بن ساعدة من بنى عمرو بن عوف (،،،،)

التقى هؤلاء برسول الله ﷺ عند العقبة بمنى فبايعوه بيعة النساء أي: وفق بيعتهن التي نزلت بعد الحديبية .

روى البخارى عن عبادة بن الصّامِتِ وهو مِنَ الَّذِينَ شَهِدُوا بَدْرًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمِنْ أَصْحَابِهِ لَيْلَةَ الْعُقَبَةِ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «وَحَوْلَهُ عَصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ تَعَالَوْا يَا بَعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا تَسْرِقُوا وَلَا تَزْنُوا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ وَلَا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ وَلَا تَعْصُونِي فِي مَعْرُوفٍ فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ بِهِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ لَهُ كَفَّارَةٌ وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَسْتَرَهُ اللَّهُ فَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ إِنْ شَاءَ عَاقِبَهُ وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ»<sup>(١)</sup>، قال: فبايعته، وفي نسخة: فبايعناه على ذلك»<sup>(٢)</sup>.

### سَفِيرُ الدَّعْوَةِ الْأُولَى إِلَى الْمَدِينَةِ :

وبعد أن تمت البيعة وانتهى الموسم بعث النبي ﷺ مع هؤلاء المبايعين مصعب بن عمير - أول سفير في الإسلام - ليقرّتهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين ، ويقوم بنشر الإسلام بين الذين لم يزالوا على الشرك فكان يسمى بمقرئ المدينة وقد نزل على أسعد بن زرارة .

قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة: أنه كان يصلى بهم وذلك أن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض<sup>(٣)</sup> .

### نَجَاحُ مُصْعَبٍ فِي مَهْمَتِهِ :

قال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن المغيرة بن معيقب وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: أن أسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمير يريد به دار بنى عبد الأشهل ودار بنى ظفر ، وكان سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد

(١) البخاري ٣٨٩٢ .

(٢) الرحيق المختوم ص ١٣٩ .

(٣) ابن هشام ١ / ٢٦٩ ، الرحيق المختوم ١٣٩ / ١٤٠ .

الأشهل ابن خالة أسعد بن زرارة فدخل حائطاً من حوائط بنى ظفر ، قالوا: على بئر يقال لها بئر مَرَق فجلسا فى الحائط واجتمع إليهما رجال ممن أسلم وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير يومئذ سيّدا قومهما من بنى عبد الأشهل وكلاهما مشرك على دين قومه فلما سمعا به قال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير لا أبأ لك ، انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ؛ ليسفها ضعفاءنا فازجرهما وانهما على أن يأتيا دارينا ؛ فإنه لولا أن أسعد بن زرارة منى حيث قد علمت كفيتك ذلك هو ابن خالتي ولا أجد عليه مقدماً ، قال: فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل إليها فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب بن عمير: هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه ، قال مصعب: إن يجلس أكلمه ، قال: فوقف عليهما متشتماً فقال: ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا؟ اعترلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة ، فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع فإن رضيت أمراً قبلته وإن كرهته كف عنك ما تكره ، قال: أنصفت ثم ركز حربته وجلس إليهما فكلمه مصعب بالإسلام وقرأ عليهما القرآن فقالا فيما يذكر عنهما: والله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم فى إشراقه وتسهله ، ثم قال: ما أحسن هذا الكلام وأجمله! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا فى هذا الدين؟ قالوا له: تغتسل فتطهر وتطهر ثوبك ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلى فقام فاغتسل وطهر ثوبه وتشهد شهادة الحق ثم قام فركع ركعتين ثم قال لهما: إن ورائي رجلاً إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله إليكما الآن سعد بن معاذ .

ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس فى ناديبهم فلما نظر إليه سعد ابن معاذ مقبلاً ؛ قال: أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم ؛ فلما وقف على النادى قال له سعد: ما فعلت؟ قال: كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأساً وقد نهيتهما فقالا: نفعل ما أحببت وقد حدثت أن بنى حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زرارة ؛ ليقتلوه وذلك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالتك ليخفروك .

قال: فقام سعد مغضباً مبادراً تخوفاً للذى ذكر له من بنى حارثة فأخذ الحربة من يده ثم قال: والله ما أراك أغنيت شيئاً ثم خرج إليهما ، فلما رآهما سعد مطمئنين عرف سعد أن أسيداً إنما أراد منه أن يسمع منهما فوقف عليهما متشتماً ثم قال لأسعد بن زرارة: يا أبأ أمانة (أما والله) لولا ما بينى وبينك من القرابة ما رمت<sup>(١)</sup> . هذا منى ، أتغشانا فى

(١) رامت الشيء أي: طلبته .

دارينا بما نكره - وقد قال أسعد بن زرارة لمصعب بن عمير: أي مصعب جاءك والله سيد من وراء قومه، إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان، قال له مصعب: أو تقعد فتسمع فإن رضيت أمراً ورغبت فيه قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره قال سعد: أنصفت ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه الإسلام قبل أن يتكلم لإشراقه وتسهله ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين؟ .

قالا: تغتسل فتطهر وتطهر ثوبك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلى ركعتين قال: فقام فاغتسل وطهر ثوبه وتشهد شهادة الحق ثم ركع ركعتين ثم أخذ حربته فأقبل عامداً إلى نادى قومه ومعه أسيد بن حضير .

قال: فلما رآه قومه مقبلاً قالوا: نلحف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل كيف تعلمون أمرى فيكم؟ قالوا: سيدنا (وأوصلنا) وأفضلنا رأياً وأيمنا نقيبة<sup>(١)</sup> .

قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم عليّ حرام؛ حتى تؤمنوا بالله ورسوله، قالوا: فوالله ما أمسى في دار بنى عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً ومسلمة ورجع أسعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام؛ حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا فيها رجال ونساء مسلمون إلا ما كان من بنى أمية بن زيد، وخطمة ووائل، وواقف، وهم من الأوس بن حارثة وذلك أنه كان فيهم أبو قيس بن الأسلت واسمه صيفى وكان شاعراً لهم قائداً يستمعون منه ويطيعونه فوقف بهم عن الإسلام؛ حتى كان بعد الخندق<sup>(٢)</sup> . وقبل حلول موسم الحج التالى - أي: حج السنة الثالثة عشرة - عاد مصعب بن عمير إلى مكة يحمل إلى رسول الله ﷺ بشائر الفوز ويقص عليه خبر قبائل يثرب وما فيها من مواهب الخير وما لها من قوة ومنعة<sup>(٣)</sup> .

### بِيعَةُ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ:

في موسم الحج في السنة الثالثة عشرة من النبوة - يونيو سنة ٦٢٢م - حضر لأداء مناسك الحج بضع وسبعون نفساً من المسلمين من أهل يثرب جاءوا ضمن حجاج

(١) منجح الفعال وظف المطالب، والنقيبة: النفس وقيل الطبيعة أو الخليقة .

(٢) ابن هشام / ١ - ٢٦٩ - ٢٧٢، سيرة الرسول أبو عمار ١٧٧ - ١٧٩ .

(٣) الرحيق المختوم ص ١٤١ .

قومهم من المشركين ، وقد تساءلوا فيما بينهم ؛ حتى متى نترك رسول الله ﷺ يطوف ويطرد في جبال مكة ويخاف؟! فلما قدموا مكة جرت بينهم وبين النبي ﷺ اتصالات سرية أدت إلى اتفاق الفريقين على أن يجتمعوا في أوسط أيام التشريق في الشعب الذي عند العقبة حيث الجمرة الأولى من منى ، وأن يتم الاجتماع في سرية تامة في ظلام الليل .

وقد وصف كعب بن مالك الأنصاري هذا الاجتماع قائلاً: خرجنا إلى الحج وواعدنا رسول الله ﷺ بالعقبة من أوسط أيام التشريق ، فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ لها ، ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر ، سيد من ساداتنا ، وشريف من أشرفنا أخذناه معنا - وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا - فكلمناه ، وقلنا له: يا أبا جابر ، إنك سيد من ساداتنا ، وشريف من أشرفنا ، وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطياً للنار غداً ، ثم دعوناه إلى الإسلام ، وأخبرناه بميعاد رسول الله ﷺ إيانا العقبة ، فأسلم وشهد معنا العقبة وكان نقيباً .

قال كعب: فمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا؛ حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ ، نتسلل تسلل القطا مستخفين ؛ حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً ، وامرأتان من نسائنا وهما نسيبة بنت كعب - أم عمارة من بنى مازن بن النجار ، وأسماء بنت عمرو - أم منيع - من بنى سلمة<sup>(١)</sup> .

**العباسُ يَتَوَثَّقُ لِلنَّبِيِّ ﷺ :**

قال كعب: فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله ﷺ حتى جاءنا ومعه (عمه) العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه ، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له ، فلما جلس كان أول متكلم العباس ، فقال: - يا معشر الخزرج - وكان العرب إنما يسمون الأنصار خزرجاً ؛ فخرجها وأوسها كلاهما ، إن محمداً منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه فهو في عز من قومه ومنعة في بلده ، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم ؛ فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتكم إليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك ، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه ؛ فإنه في عز ومنعة من قومه

(١) الرحيق المختوم ص ١٤٢ .

ويلده قال: فقلنا له: قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله ﷺ فخذ لربك ولنفسك ما أحببت (١).

عَهْدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْأَنْصَارِ:

روى الإمام أحمد عن جابر مفصلاً قال جابر: فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَامَ تَبَايَعُكَ قَالَ: «تَبَايَعُونِي عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ وَعَلَى الثَّقَفَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ وَعَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَعَلَى أَنْ تَقُولُوا فِي اللَّهِ لَا تَأْخُذْكُمْ فِيهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ وَعَلَى أَنْ تَصُورُونِي إِذَا قَدِمْتُ يُسْرِبَ فَمَنْعُونِي مِمَّا تَمْتَعُونَ مِنْهُ أَلْفُسَكُمْ وَأَزْوَاجَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ وَلَكُمْ الْجَنَّةُ» (٢).

وفى رواية كعب البند الأخير فقط من هذه البنود فيه قال كعب: فتكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن ودعا إلى الله ورغب في الإسلام ثم قال: «أبايعكم على أن تمتنعوا مما تمتنعون منه نساءكم وأبناءكم» فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: نعم، والذي بعثك بالحق نبيا لنمنعك مما تمنع أزرنا منه (٣).

فبايعنا يا رسول ﷺ فنحن والله أبناء الحرب وأهل الحلقة (٤) ورثناها كابراً عن كابر قال: فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله ﷺ أبو الهيثم بن التيهان فقال: يا رسول الله، إن بيننا وبين الرجال حبلاً وإنا قاطعوها - يعنى: اليهود، فهل عسييت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ قال: فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: «بل الدم الدم» (٥)، والهدم الهدم أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتهم، وأسلم من سالمهم» (٦).

التَّأَكِيدُ مِنْ خُطُورَةِ الْبَيْعَةِ:

قال ابن إسحاق: حدثني عاصم بن قتادة: أن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله ﷺ قال العباس بن عباد بن نضلة الأنصارى: يا معشر الخزرج هل تدرون علام تبايعون

(١) ابن هشام ١ / ٢٧٤ - ٢٧٥ .

(٢) مسند أحمد ١٤٢٤٣ .

(٣) الأزر: الثياب والمقصود النساء أو الأنفس .

(٤) الحلقة: السلاح .

(٥) الدم الدم والهدم الهدم: دمي دمك، وما تهدمه أنت أهدهم أنا .

(٦) ابن هشام ١ / ٢٧٥، الرحيق المختوم ١٤٣ - ١٤٤ .

هذا الرجل؟ قالوا: نعم، قال: إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس؛ فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة وأشرفكم قتلاً أسلمتموه؛ فمن الآن فهو الله إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتوه إليه على نهكة الأموال<sup>(١)</sup> وقتل الأشراف فخذوه؛ فهو والله خير الدنيا والآخرة قالوا: فإننا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف فما لنا بذلك يا رسول الله ﷺ إن نحن وفينا (بذلك)؟ قال: «الجنة» قالوا: ابسط يدك فبسط يده فبايعوه<sup>(٢)</sup> وفي رواية جابر قال: فقمنا نبايعه فأخذ بيده أسعد بن زرارة - وهو أصغر السبعين - فقال: رويداً يا أهل يثرب إنا لم نضرب إليه أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله ﷺ وأن إخراجنا اليوم مفارقة العرب كافة، وقتل خياركم وأن تعضكم السيوف؛ فإما أنتم تصبرون على ذلك فخذوه، وأجركم على الله وإما أنتم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه فهو أعذر لكم عند الله<sup>(٣)</sup>.

### عَقْدُ الْبَيْعَةِ:

وبعد إقرار بنود البيعة، وبعد هذا التأكيد والتأكد بدأ عقد البيعة بالمصافحة، قال جابر - بعد أن حكى قول أسعد بن زرارة - قال: فقالوا: يا أسعد، أمط عنا يدك، فوالله لا نذر هذه البيعة، ولا نستقيها.

وحينئذ عرف أسعد مدى استعداد القوم للتضحية في هذا السبيل وتأكد منه - وكان هو الداعية الكبير مع مصعب بن عمير - فكان هو السابق إلى هذه البيعة، قال ابن إسحاق: فبنو النجار يزعمون أن أبا أمامة أسعد بن زرارة كان أول من ضرب على يده، وبعد ذلك بدأت البيعة العامة قال جابر: فقمنا إليه رجلاً رجلاً فأخذ علينا البيعة، يعطينا بذلك الجنة، وأما بيعة المرأتين اللتين شهدتا الواقعة فكانت قولاً، فما صافح رسول الله ﷺ امرأة أجنبية قط<sup>(٤)</sup>.

### نَقْبَاءُ الْقَوْمِ:

وبعد أن تمت البيعة طلب رسول الله ﷺ أن يختاروا اثني عشر زعيماً يكونون نقباء

(١) نهكة الأموال: نقصها.

(٢) ابن هشام / ١ / ٢٧٦.

(٣) الرحيق المختوم ١٤٤ - ١٤٥.

(٤) الرحيق المختوم ١٤٤ - ١٤٥.

على قومهم يكفلون المسئولية عنهم في تنفيذ بنود هذه البيعة ، فقال للقوم: «أخرجوا إليّ منكم اثني عشر نقيباً؛ ليكونوا على قومهم بما فيهم» فأخرجوا منهم اثني عشر نقيباً تسعة من الخزرج؛ وثلاثة من الأوس وهاك أسماؤهم:

### نُقبَاءُ الْخَزْرَجِ:

- ١- أسعد بن زرارة بن عدس .
- ٢- سعد بن الربيع بن عمرو .
- ٣- عبد الله بن رواحة بن ثعلبة .
- ٤- رافع بن مالك بن العجلان .
- ٥- البراء بن معرور بن صخر .
- ٦- عبد الله بن عمرو بن حرام .
- ٧- عبادة بن الصامت بن قيس .
- ٨- سعد بن عبادة بن دليم .
- ٩- المنذر بن عمرو بن خنيس .

### نُقبَاءُ الْأَوْسِ

- ١- أسيد بن حضير بن سماك .
- ٢- سعد بن خثيمة بن الحارث .
- ٣- رفاعة بن عبد المنذر بن زبير .

ولما تم اختيار هؤلاء النقباء أخذ عليهم النبي ﷺ ميثاقاً آخر بصفتهم رؤساء مسئولين قال لهم: «أنتم على قومكم بما فيهم كفلأ، ككفالة الخواريين لعيسى ابن مريم وأنا كفيل على قومي» يعني: المسلمين قالوا: «نعم»<sup>(١)</sup>.

### شَيْطَانُ يَكْشِفُ الْمَعَاهِدَةَ:

قال كعب: فلما بايعنا رسول الله ﷺ صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت

(١) الرحيق المختوم ١٤٥ .

سمعتَه قط: يا أهلَ الحِجابِ<sup>(١)</sup> هل لكم في مذمَمِ والصِباةِ معهُ<sup>(٢)</sup> قد اجتمعوا على حربكم قال: فقال رسولُ الله ﷺ: «هذا أذب العقبة<sup>(٣)</sup> هذا ابن أزيب؛ أسمع عدو الله أما والله لأفرغن لك».

### فِطْنَةُ النَّبِيِّ ﷺ وَحِكْمَتُهُ:

قال كعب: ثم قال رسولُ الله ﷺ: «ارفضوا إلى رحالكُم»<sup>(٤)</sup> قال: فقال له العباس بن عبادَةَ بن نضلة: والله الذي بعثك بالحق: إن شئتَ لنميلنَّ على أهل منى غداً بأسيا فإنا؟ قال: فقال رسولُ الله ﷺ: «لم نؤمر بذلك؛ ولكن ارجعوا إلى رحالكُم» قال: فرجعنا إلى مضاجعنا فمنا عليها؛ حتى أصبحنا<sup>(٥)</sup>.

### قُرَيْشٌ تُقَدِّمُ الاِحْتِجَاجَ إِلَى رُؤَسَاءِ يَثْرِبَ:

لما قرع هذا الخبر أذان قريش وقعت فيهم ضجة وساورتهم القلاقل والأحزان؛ لأنهم كانوا على معرفة تامة بعواقب مثل هذه البيعة ونتائجها بالنسبة إلى أنفسهم وأموالهم، فما إن أصبحوا حتى توجه وفد كبير من زعماء مكة وأكابر مجرميها إلى أهل يثرب؛ ليقدم احتجاجه الشديد على هذه المعاهدة قال الوفد: "يا معشر الخزرج إنه قد بلغنا أنكم قد جئتمكم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا؛ وإنه والله ما من حي من العرب أبغض إلينا من أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم".

ولما كان مشركو الخزرج لا يعرفون شيئاً عن هذه البيعة؛ لأنها تمت في سرية تامة في ظلام الليل انبعث هؤلاء المشركون يحلفون بالله ما كان من شيء وما علمناه؛ حتى أتوا عبد الله بن أبي ابن سلول فجعل يقول: هذا باطل وما كان هذا، وما كان قومي ليفتاتوا علي بمثل هذا، ولو كنت بيثرب ما صنع قومي هذا حتى يؤمروني.

أما المسلمون فنظر بعضهم إلى ثم لاذوا بالصمت فلم يتحدث أحد منهم بنفى أو إثبات، ومال زعماء قريش إلى تصديق المشركين فرجعوا خائبين.

(١) المنازل.

(٢) الصباة: جمع صابي، وهو الصايغ وكان يطلق على من خرج من الشرك إلى الإسلام.

(٣) اسم شيطانها.

(٤) ارفضوا: تفرقوا.

(٥) ابن هشام ١ / ٢٧٧.

## تَأَكُّدُ الْخَبْرِ لَدَى قُرَيْشٍ وَمُطَارَدَةُ الْمُبَايَعِينَ:

عاد زعماء مكة وهم على شبه اليقين من كذب هذا الخبر؛ لكنهم لم يزالوا ينتظرونه<sup>(١)</sup>؛ حتى تأكد لديهم أن الخبر صحيح والبيعة قد تمت فعلاً، وذلك بعدما نفر الحجيج إلى أوطانهم فسارع فرسانهم بمطاردة اليثريين ولكن بعد فوات الأوان إلا أنهم تمكنوا من رؤية سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو فطاردوهما، فأما المنذر فأعجز القوم، وأما سعد فآلقوا القبض عليه فربطوا يديه إلى عنقه بنسج رحله وجعلوا يضربونه ويمجرونه ويمجرون شعره؛ حتى أدخلوه مكة فجاء المطعم بن عدي والحارث بن حرب بن أمية فخلصاه من أيديهم إذ كان سعد يجير لهما قوافلهما المارة بالمدينة، وتشاورت الأنصار حين فقدوه أن يكروا إليه فإذا هو قد طلع عليهم فوصل القوم جميعاً إلى المدينة<sup>(٢)</sup>.

## الْعِبْرُ وَالْعِظَاتُ:

من الدروس المستفادة من بيعتي العقبة الأولى والثانية:

لعل أصحاب الفكر المتسرع الذين يظنون أن الإسلام يمكن أن يمكن له بضربة خاطفة يعتبرون بما حدث في بيعة العقبة الثانية وكيف أن الأنصار وهم أهل حرب ودراية وقد عرضوا على رسول الله ﷺ أن يميلوا على أهل الوادي فيقتلونهم فنهاهم ﷺ عن ذلك، وقال: «إني لم أؤمر بذلك» فتعجل الشمار قد يضيع الجهد المبذول ولا تؤتى الحركة الإسلامية ثمارها وتكون النتيجة خسارة الأفراد الموجودين وضياح دعوتهم في سبيل مصلحة متوهمة، وهذا شاهد لقول النبي ﷺ لحباب: «ولكنكم قوم تستعجلون»<sup>(٣)</sup>.

بدأ الإسلام في يثرب بإسلام ستة من الأنصار الذين عادوا إلى يثرب وكانوا سبب في إسلام سبعة آخرين، وفي العام التالي عادوا إلى مكة اثني عشر نفرًا وذلك في بيعة العقبة الأولى ثم عادوا إلى يثرب ومعهم مصعب بن عمير واستمروا في الدعوة إلى الإسلام؛ حتى عادوا إلى مكة في السنة التالية بضعة

(١) يكترون البحث عنه ويدققون النظر فيه .

(٢) الرحيق المختوم ١٤٦ - ١٤٧ .

(٣) سيرة الرسول أبو عمار ص ١٨٦ .

وسبعين بينهم امرأتان ، وذلك فى بيعة العقبة الثانية وهكذا يتبين لنا أن الدعوة إلى الإسلام فريضة على كل مسلم ومسلمة وليست مهمة الأنبياء والدعاة فقط .

٣- اقتضت رحمة الله بعبادة أن لا يحملهم واجب القتال إلى أن توجد لهم دار ولذلك فرض الجهاد فى البيعة الثانية وليست الأولى بعدما انتشر الإسلام فى المدينة .

٤- بيعة العقبة الثانية كانت المقدمة الأولى لهجرته ﷺ إلى المدينة بعد سماع المشركين بخبر البيعة وما ترتب عليه من ترتب الأمر على الرسول ﷺ وإجماعهم الرأى على قتله والتخلص منه .

\*\*\*